

السنة العاشرة من النبوة

فيها خرج بنو هاشم من الشَّعب، واختلفوا في سبب خروجهم على أقوال: أحدها: أن هشام بن عمرو بن الحارث من بني عامر بن لؤي، وكان أوصل قريش لبني هاشم حين كانوا في الشعب، كان يأتي بالبعير قد أوقره طعاماً في الليل، فإذا جاء إلى الشَّعب، خلع خِطامه وضربه على جنبه، فيدخل الشعب، وعلمت به قريش فنهته فلم ينته، فقال أبو سفيان بن حرب: دعوه فإنه رجل وصل رحمه، أما والله لو فعلنا ما فعل لكان أجمل بنا.

فمشى هشام إلى زهير بن أبي أمية بن المغيرة بن عبدالله بن مخزوم، وكانت أمه: عاتكة بنت عبد المطلب، فقال: يا زهير، أرضيت أن تأكل الطعام، وتشرب الشراب، وتلبس الثياب، [وأخوالك حيث قد علمت لا يُبايعون]، ولا يناكحون، أما تستحي؟ فقال: ويحك، ما أصنع وأنا رجل واحد، أما والله لو كان معي رجل آخر، لقمتم في نقضها. فقال: قد وجدته، قال: ومن هو؟ قال: أنا. قال: فابغنا ثالثاً. قال: أبو البَحْتَرِي بن هشام، قال: ابغنا رابعاً، قال زَمْعَةُ بن الأسود: قال: فابغنا خامساً، قال المُطْعِم بن عدي: قال: فاجتمعوا عند الحجون، وتعاهدوا على القيام بنقض الصحيفة، قال زهير: أنا أبدأ بها، فجاوزوا إلى الكعبة وقريش مُحَدِّقَةً، فطاف زهير بالبيت سبعاً، ثم نادى: يا أهل مكة، إننا نأكل الطعام ونشرب الشراب ونلبس الثياب، وبنو هاشم هلكى، والله لا أقعد حتى نشق هذه الصحيفة القاطعة، فقال له أبو جهل: كذبت لا تُسَقُّ والله. فقال زَمْعَةُ بن الأسود: أنت والله أكذب، مارضينا حين كُتبت. وقال أبو البَحْتَرِي: صدق زَمْعَةُ، لا نرضى ما كتب فيها، فقال المُطْعِم بن عدي: صدقتما وكذب من قال غير ذلك. فقال هشام بن عمرو: نتبراً إلى الله منها، ومما كتب فيها.

فقال أبو جهل: هذا أمر فُضِي بليلى وتُشوور فيه. وقام المُطْعِم بن عدي إلى الصحيفة ليشقها، فوجد الأَرْضَةَ قد أكلت ما فيها من الظلم، ولم يبق إلا «باسمك اللهم»^(١).

(١) انظر «السيرة» لابن هشام ١٧-١٨، و«تاريخ الطبري» ٣٤١/٢، و«المنتظم» ٤-٥، وما بين معكوفين منها.

فقال أبو طالب^(١): [من الطويل]

جزى الله رَهْطاً بِالْحَجَّوْنَ تَبَايَعُوا على مَلَأٍ يَهْدِي لِحَزْمٍ وَيُرْشِدُ
أَعَانَ عَلَيْهَا كُلُّ صَقْرٍ كَأَنَّهُ إِذَا مَا مَشَى فِي رَفْرِفِ الدَّرْعِ أُحْرَدُ
قُوداً لَدَى جَنْبِ الْحَجَّوْنَ كَأَنَّهُمْ مَقَاوِلَةٌ بَلْ هُمْ أَعَزُّ وَأَمْجَدُ
قال: وأسلم هشام بن عمرو يوم الفتح.

والثاني: أن الله بعث الأَرْضَةَ فَأَكَلَتْ مَا فِي الصَّحِيفَةِ مِنَ الْجَوْرِ وَالظُّلْمِ، وَأَبَقَتْ مَا فِيهَا مِنْ قَوْلِهِ: «بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ»، فَأَخْبَرَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَبَا طَالِبٍ، فَقَالَ: أَحَقًّا مَا تَقُولُ يَا ابْنَ أَخِي؟ فَقَالَ: نَعَمْ، أَخْبِرْنِي بِذَلِكَ رَبِّي. فَأَخْبَرَ أَبُو طَالِبٍ أَخُوتهُ وَقَالَ: وَاللَّهِ مَا كَذَبَنِي قَطُّ. قَالُوا: فَمَا تَرَى؟ قَالَ: أَرَى أَنْ نَخْرُجَ إِلَى قَرِيشٍ فَنُخْبِرَهُمْ بِذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يَصْلَهُمُ الْخَبِيرُ. فَخَرَجُوا مِنَ الشَّعْبِ، فَدَخَلُوا الْمَسْجِدَ، فَلَمَّا رَأَتْهُمْ قَرِيشٌ، أَنْكَرُوا ذَلِكَ، فَناداهم أبو طالب: إِنَّا قَدْ جِئْنَاكُمْ فِي أَمْرٍ، فَأَجِيبُوا عَنْهُ، قَالُوا: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: أَخْبِرْنِي ابْنَ أَخِي، وَلَمْ يَكْذِبَنِي قَطُّ: أَنَّ الْأَرْضَةَ قَدْ أَكَلَتْ مَا فِيهَا مِنَ الظُّلْمِ وَالْجَوْرِ وَقَطِيعَةَ الرَّحْمِ، وَلَمْ تَتَعَرَّضْ لِمَا كَانَ مِنْ اسْمِ اللَّهِ تَعَالَى، فَإِنْ كَانَ ابْنُ أَخِي صَادِقًا، فَكُفُّوا عَنَّا، وَإِنْ كَانَ كَاذِبًا، دَفَعْنَا إِلَيْكُمْ. فَقَالُوا قَدْ أَنْصَفْتُ، وَجَاؤُوا بِالصَّحِيفَةِ فَلَمَّا فَتَحُوهَا، وَجَدُوا الْأَمْرَ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَسُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ، وَنَكَّسُوا رُؤُوسَهُمْ. فَقَالَ لَهُمْ أَبُو طَالِبٍ: هَلْ تَبَيَّنَ لَكُمْ ظُلْمُكُمْ وَجَوْرُكُمْ؟ فَلَمْ يَجِبْهُ أَحَدٌ، وَانْصَرَفُوا. فَلَمْ يَتَعَرَّضْ أَحَدٌ بَعْدَهَا لِابْنِ هَاشِمٍ^(٢).

والثالث: أن الْمُطْعِمَ بْنَ عَدِي شَرِبَ لَيْلَةَ فَاثْتَشَى، فَقَالَ: مِنْ مِثْلِي؟ فَقَالَ لَهُ عَدِي ابْنُ قَيْسِ التَّمِيمِيِّ أَوْ عْتَبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ: إِنْ كُنْتَ كَمَا تَقُولُ، فَمَا بَالُ بَنِي عَمِّكَ يَمُوتُونَ فِي الشَّعْبِ جَوْعًا؟ فَقَامَ، فَلَبَسَ سِلَاحَهُ، وَلَبَسَ مَعَهُ أَبُو الْبَحْتَرِيِّ، وَزُهَيْرُ بْنُ أَبِي أُمِيَةَ، وَهَشَامُ بْنُ عَمْرٍو، وَمَنْ سَمَّيْنَا، وَجَاءُوا إِلَى الشَّعْبِ، وَصَاحُوا بِهِمْ: أَخْرَجُوا عَلَيَّ رَغْمًا

(١) الأبيات في «السيرة» ٢/٢٠، من ضمن أبيات.

(٢) انظر «الطبقات الكبرى» ١/١٧٨-١٧٩، و«دلائل النبوة» لليهقي ٢/٣١٢، و«المنتظم» ٣/٣-٤.

قريش، فقال أبو طالب: إنا نخاف. فقال المطعم^(١): لا خوف عليكم بعد اليوم. فخرجوا.

وأقاموا في الشعب ثلاث سنين، وقيل: سنتين وأشهرًا.

وفيها: خرج رسول الله ﷺ إلى الطائف يلتمس من ثقيف النصرة والمنعة له من قومه.

قال جبير بن مطعم: لما توفي أبو طالب، تناولت قريش رسول الله ﷺ، فخرج إلى الطائف في آخر شوال من هذه السنة، ومعه زيد بن حارثة^(٢).

قال البلاذري: خرج لثلاث بقين من شوال سنة عشر من النبوة، وعاد إلى مكة يوم الثلاثاء لثلاث وعشرين ليلة خلت من ذي القعدة^(٣).

وقيل: أقام عشرة أيام^(٤). والأول أصح.

قال الواقدي: لم يدع أحداً من أشرفهم إلا كلمه، فلم يجبه أحد منهم، وخافوا على أحداثهم منه، فقالوا له: اخرج عنا. وأغروا به سفهاءهم، فرمّوه بالحجارة حتى أذمّوه، وزيد بن حارثة ﷺ يقيه بنفسه، حتى لقد شج في رأسه شجاجاً كثيرة^(٥).

وقال كعب الأحمري^(٦): اجتمع النبي ﷺ بالطائف بسادات ثقيف وهم ثلاثة أخوة: عبد ياليل، ومسعود، وحبیب، وأولاد عمرو بن عمير الثقفي، فدعاهم إلى الله تعالى، والقيام معه على إظهار الإسلام ومن خالفه من قومه، فقال له عبد ياليل: هو يمرط ثياب الكعبة إن كان الله أرسلك. وقال مسعود: أما وجد الله من يرسله غيرك؟ وقال له حبیب: إن كنت رسولاً كما تزعم، فلأنت أعظم خطراً من أن أرد عليك، وإن كنت

(١) في النسخ: أبو المطعم. انظر «أنساب الأشراف» ١/٢٧٢.

(٢) انظر «الطبقات الكبرى» ١/١٨٠، و«المنتظم» ٣/١٢.

(٣) أنساب الأشراف» ١/٢٧٣.

(٤) انظر «الطبقات الكبرى» ١/١٨٠، و«المنتظم» ٣/١٢.

(٥) انظر «الطبقات الكبرى» ١/١٨٠.

(٦) هكذا جاء في النسخ، والصواب: «محمد بن كعب القرظي» كما في المصادر.

كاذباً على الله، فما ينبغي أن أكلمك.

فقام رسول الله ﷺ وقد يئس من خير ثقيف، وأغروا به عبيدهم وصبيانهم يسبونه ويصيحون عليه حتى اجتمع عليه الناس، وألجؤوه إلى حائط لعتبة وأخيه شيبه ابني ربيعة وهما فيه، فعمد إلى ظل حُبْلَةٍ، فجلس في ظلها وشيبة وعتبة ينظران إليه، ويريان ما يلقي من سفهاء ثقيف، فبكى رسول الله ﷺ وقال: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْكُو إِلَيْكَ ضَعْفِي وَقَلَّةَ حِيلَتِي وَهَوَانِي عَلَى النَّاسِ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، أَنْتَ رَبُّ الْمُسْتَضْعَفِينَ، وَأَنْتَ رَبِّي» [فإلى مَنْ تَكَلَّمْتَنِي، [إلى بَعِيدٍ يَتَجَهَّمْنِي أَمْ إِلَى عَدُوِّ مَلَكْتِهِ أَمْ لِي] فَإِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْكَ عَلَيَّ غَضَبٌ فَلَا أَبَالِي [ولكن عافيتك هي أوسع لي]، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له السماوات، وأضاءت به الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، من أَنْ يَنْزَلَ بِي غَضَبُكَ، أَوْ يَحِلَّ عَلَيَّ سَخَطُكَ، [لك العُتْبَى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك] وهو ﷺ يبكي، فلما رأى ابنا ربيعة ذلك، تحركت له رَحْمُهُمَا، فَدَعَا غُلَامًا لهُمَا يَقَالُ لَهُ: عَدَّاسُ، نصرانياً، فقالا: خذ قِظْفًا من العنب فضعه في طبق، واذهب به إلى ذلك القاعد، فضعه بين يديه، ففعل ذلك عَدَّاسُ، فمد رسول الله ﷺ يده وقال: «بِسْمِ اللَّهِ». وسمعه عَدَّاسُ، فنظر إليه وقال: والله إن هذا كلامٌ ما يقوله أهل هذه البلاد، فقال له رسول الله ﷺ: «فمن أنت، وما دينك؟» قال: نصراني، من أهل نينوى. قال: «من قرية العبدِ الصَّالِحِ يُونسَ بنِ مَتَّى» قال: نعم وما يدريك ما يونس؟ فقال: «ذاك أخي، كان نبياً، وأنا نبيٌّ». فأكبَّ عَدَّاسٌ يقبل يديه ورجليه، فقال عتبه لأخيه شيبه: أفسد عليك غلامك. فلما جاءهما، قالوا له: ويحك، ما هذا؟ فقال: والله ما في الأرض رجل خير من هذا، لقد أخبرني بأمر لا يعلمه إلا الله أو نبي. فقالا: ويلك، لا يصرفك عن دينك، فدينك خير من دينه^(١).

قالت عائشة رضي الله عنها: قلت: يا رسول الله، هل أتى عليك يوم أشد من يوم أحد؟

(١) انظر «السيرة» لابن هشام ٤٧-٤٨، و«تاريخ الطبري» ٣٤٤/٢، و«المنتظم» ٣/١٣-١٥، وما بين معقوفتين زيادة من المصادر.

فقال: «يوم عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى عَبْدِ يَالِيلِ بْنِ عَبْدِ كَلَّالِ عِنْدَ الْعَقَبَةِ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَاذْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بَقْرُنِ الثَّعَالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي وَإِذَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظْلَتْنِي وَفِيهَا جَبْرِيلُ، فَتَادَانِي: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ. قَالَ: فَسَلَّمَ عَلَيَّ، وَقَالَ لِي: إِنَّ شِئْتَ أَطْبَقْتُ عَلَيْهِمُ الْأَخْشِيئِينَ. فَقُلْتُ: بَلْ أَرْجُو أَنْ يَخْرُجَ مِنْ أَضْلَالِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ، وَلَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا». أَخْرَجَاهُ فِي «الصَّحِيحِينَ»^(١).

ولما عاد رسول الله ﷺ من الطائف، أقام بنخلة أياماً، فمر به نفر من الجن وهو يصلي الفجر، فوقفوا فاستمعوا لقراءته، ثم ولوا إلى قومهم منذرين، وأنزل الله سورة الجن^(٢).

وأول من تعوَّذ بالعرب من الجن قوم من اليمن، ثم بنو حنيفة، وفشا ذلك في العرب، كان إذا أمسى قوم في برية، يقولون: نعوذ بسيد هذا الوادي من شر سفهاء قومه، فيبيتون في أمن وجوار.

[عن كَرْدَمِ بْنِ أَبِي السَّائِبِ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ: خَرَجْتُ مَعَ أَبِي] فِي حَاجَةٍ وَذَلِكَ فِي أَوَّلِ مَا ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَكَّةَ، فَأَوَانَا الْمَبِيتَ إِلَى رَاعِيِ غَنَمٍ، فَجَاءَ ذئْبٌ فَأَخَذَ شَاةً أَوْ حَمَلًا مِنَ الْعَنَمِ، فَوَثَبَ الرَّاعِيَّ وَقَالَ: يَا رَاعِيِ الْوَادِي، جَارِكَ، فَنَادَى مُنَادٍ لَا نَرَاهُ: يَا سِرْحَانَ، أَرْسَلَهُ. فَآتَى الْحَمْلُ يَشْتَدُّ حَتَّى دَخَلَ الْغَنَمَ، وَلَمْ يُصِبْهُ شَيْءٌ^(٣).

ذَكَرَ رَجُوعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ:

لَمَّا عَزَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى الدُّخُولِ إِلَى مَكَّةَ، قَالَ لَهُ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: كَيْفَ تَدْخُلُ عَلَى الْقَوْمِ بَغِيرَ جِوَارٍ، وَقَدْ أَخْرَجُوكَ، فَأَرْسِلَ إِلَى مَنْ شِئْتَ فَادْخُلْ فِي جِوَارِهِ. فَمَرَّ بِهِ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: هَلْ أَنْتَ مُبَلِّغٌ عَنِّي رِسَالَةَ؟ قَالَ:

(١) صحيح البخاري (٣٢٣١)، وصحيح مسلم (١٧٩٥).

(٢) انظر «السيرة» لابن هشام ٤٩/٢.

(٣) أخرجه الطبراني في «الكبير» ١٩/٤٣٠، وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٧/١٢٩ وقال: وفيه عبدالرحمن بن إسحاق الكوفي، وهو ضعيف. وما بين معكوفتين زيادة من معجم الطبراني.

نعم. قال: إئت الأحنس بن شريق، فقل له: يقول لك محمد بن عبدالله: هل أنت مُجيري حتى أبلغَ رسالاتِ ربي؟ فأتى الأحنس فأخبره، فقال له: قل له: إن الحليف لا يجير على الصريح. فأتى النبي ﷺ فأخبره. فقال له: إئت سهيل بن عمرو، فقل له كذلك، فأتاه فقال سهيل: إن بني عامر بن لؤي لا تجير على بني كعب، فقال: فائت المطعم بن عدي، فأتاه، فقال: قل له قد أجرتة، فليدخل. وأصبح المطعم قد لبس سلاحه هو وبنوه وبنو أخيه وقومه، ودخلوا المسجد، فقال له أبو جهل: أمجير أم متابع؟ فقال: بل مجير. فقال: أجرنا من أجرت. ودخل رسول الله ﷺ المسجد، ومعه زيد بن حارثة رضي الله عنه، فطاف بالبيت، وصلى ركعتين، واستلم الركن، ونادى المطعم: يا معاشر قريش، قد أجرْتُ محمداً. ثم طاف حوله هو وقومه وأهله حتى دخل النبي ﷺ [وكان النبي ﷺ] يرى ذلك للمطعم بن عدي وقومه، وأقام في جوار المطعم يبلغ رسالات ربه^(١).



وفيهما: تزوج رسول الله ﷺ بعائشة وسودة رضي الله عنهما بعد وفاة خديجة رضي الله عنها.

قال أبو سلمة: لما هلكت خديجة، جاءت خولة بنت حكيم امرأة عثمان بن مظعون رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ، فقالت: يا رسول الله، ألا تتزوج؟ فقال: «من؟» قالت: إن شئت بكراً، وإن شئت ثيباً. قال: «فَمَنْ البِكْرُ؟» قالت: بنت أبي بكر، أحب خلق الله إليك، وأما الثيب فسودة بنت زمعة آمنت بك، وأتبعتك على ما تقول. قال: «فأذهبي فأذكريهما عليّ». قالت: فدخلت بيت أبي بكر، فقلت: يا أم رومان، ماذا أدخل الله عليكم من البركة والخير؟ قالت: وما ذاك؟ قلت: أرسلني إليكم رسول الله ﷺ أخطب عليه عائشة. فقالت: انتظري أبا بكر حتى يأتي. فجاء أبو بكر فأخبرته، فقال: وهل تصلح له، إنما هي ابنة أخيه؟ قالت: فأخبرت رسول الله ﷺ، فقال: «هو أخي في الإسلام، وابنته تحلُّ لي». قالت: فأخبرت أبا بكر، فقال: انتظريني، وخرج - وكان المطعم بن عدي قد ذكرها على ابنه، وما وعد أبو بكر أحداً فأخلفه - فدخل على

(١) انظر «الطبقات الكبرى» ١/ ١٨١، و«تاريخ الطبري» ٢/ ٣٤٧، و«المنتظم» ٣/ ١٥. وما بين معقوفين زيادة يقتضيها السياق، وانظر «أنساب الأشراف» ١/ ٢٧٣.

المطعم وعنده امرأته أم الفتى، فقالت له: يا ابن أبي قحافة، لعلك مُصْبِيٌّ صاحبنا ومُدْخِلُهُ في دينك الذي أنت عليه إن تزوج إليك. فقال أبو بكر رضي الله عنه وأرضاه: أبقول هذه تقول؟ قال: إنها تقول ذلك. فخرج من عنده وقد أذهب الله من نفسه عِدَّتَهُ التي وعده بها، وقال لخولة: ادع لي رسول الله ﷺ فدعته. فزوجها منه وعائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا يومئذ بنت ست سنين.

ثم خرجت خولة، فدخلت على سَوْدَةَ، فقالت لها: إن رسول الله ﷺ يخطبك، فقالت: ادخلي على أبي - وكان شيخاً كبيراً - فاذكري له ذلك، فدخلت عليه فحيته بتحية الجاهلية، فقال: من هذه؟ قالوا: خولة بنت حكيم. قال: فما شأنك؟ قالت: أرسلني محمد بن عبدالله أخطب عليه سودة. فقال: كفؤ كريم، فما قالت صاحبك؟ قالت: قد أجابت إلى ذلك. فقال: ادعيها إلي، فدعتها. فقال: يا بنية أتحيين ما قالت خولة؟ قالت: نعم قال: فادهبي، فادعيه لي. قالت: فدعوت رسول الله ﷺ فجاء، فزوجه إياها.

قالت خولة: وكان أخوها عبد الله بن زَمْعَةَ حاجاً، فقدم فحنا التراب على رأسه، فقال بعد أن أسلم: إني لسفيه أحتي التراب على رأسي أن تزوج رسول الله ﷺ سودة بنت زمعة^(١).



وفيها: قدم مكة سويد بن الصامت، وكانوا يسمونه: الكامل، لشرفه وحسبه وفضله. وهو القائل: [من الطويل]

ألا رَبِّ من يُدعى صديقاً ولو ترى
يسرُّك بإديه وتَحْت أديمه
تُبِينُ لك العينان ما هو كاتمٌ
فَرَشْنِي بخير طالما قد بَرَيْتَنِي

مقالته بالغيب ساءك ما يفري
نميمة غش تبترى عقب الظهر
وتبديه بالبغضاء والنظر الشزر
فخير الموالي من يريش ولا يبيري^(٢)

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٥٧٦٩).

(٢) فَرَشْنِي: قَوْنِي، بَرَيْتَنِي: أضعفتني.

فتصدى له رسول الله ﷺ، ودعاه إلى الله. قال سويد: لعل الذي معك مثل الذي معي. فقال له رسول الله ﷺ: وما الذي معك - وكان فصيحاً؟ - فقال: معي مجلة لقمان - يعني حكمته -، وعرضها على رسول الله ﷺ، فقال: كلام حسن ولكن معي أفضل منه، قال: وما هو؟ قال: قرآن أنزله الله عليّ، هدى ونور، وقرأ عليه منه، ودعاه إلى الله، فلم يبعد عنه، وقال: إن هذا لحسن. ثم انصرف إلى المدينة، فقتلته الخزرج في هذه السنة، وقيل: في يوم بُعث^(١).

وفيها: قدم قيس بن مالك الهمداني مكة، فلقي رسول الله ﷺ، فقال: إنما جئت لأؤمن بك ولأنصرك، فقال له رسول الله ﷺ: «مَرَحَباً بِكَ، أَتَأْخُذُونِي بِمَا فِيَّ يَا مَعْشِرَ هَمْدَانَ؟» قال: نعم. قال: «فَاذْهَبْ إِلَى قَوْمِكَ، فَإِنْ فَعَلُوا، فَارْجِعْ إِلَيَّ». فذهب قيس إلى قومه وأخبرهم الخبر، فأسلموا وقالوا: اذهب إلى رسول الله ﷺ وعرفه ذلك، فجاء إلى رسول الله ﷺ، فقال: يارسول الله، قد أسلموا وأمروني أن آخذك. فقال رسول الله ﷺ: «نِعْمَ وَافِدُ الْقَوْمِ قَيْسٌ، وَفَيْتَ وَفَى اللَّهُ لَكَ» ومسح على ناصيته وكتب له عهده على همدان^(٢).

فصل وفيها توفيت

خديجة بنت خويلد

ابن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب رضي الله عنها زوج النبي ﷺ، وكانت تُدعى في الجاهلية: الطاهرة، وسيدة نساء قريش، وتكنى: أم هند، وأمها: فاطمة بنت زائدة بن الأصم، وأم فاطمة: هالة بنت عبد مناف بن الحارث بن سعد، وأم هالة: العرقة وهي قلابة بنت سعيد بن تميم بن لؤي بن غالب، وأمها: عاتكة بنت عبد العزى بن قصي، وأم عاتكة: الحُطَيَّا وهي رَيْطَةُ بنت كعب بن سعد بن تميم بن مُرَّة، وأمها: نائلة بنت خُذَافَةَ بن جُمَح.

نبذة من فضائلها:

كان رسول الله ﷺ يحترمها ويكرمها ويوادها، ويشاورها في أموره كلها، وكانت

(١) انظر «السيرة» لابن هشام ٥٢-٥٣، و«تاريخ يعقوبي» ٣٧/٢، و«تاريخ الطبري» ٣٥١/٢.

(٢) انظر «الطبقات الكبرى» ٢٩٣-٢٩٤.

وزيرة صدوق^(١)، صاحبة عزم.

سئل الزهري: أنفقت خديجة على رسول الله ﷺ أربعين ألفاً؟ فقال: وأربعين ألفاً وكرها.

وقال علي رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «خَيْرُ نِسَائِهَا مَرِيْمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَخَيْرُ نِسَائِهَا خَدِيجَةُ بِنْتُ حُوَيْلِدٍ». متفق عليه^(٢). أراد بالأول: نساء بني إسرائيل، وبالثاني: نساء هذه الأمة.

وفي المتفق عليه: عن إسماعيل بن أبي خالد قال: قلت لعبد الله ابن أبي أوفى: أكان رسول الله ﷺ بَشَّرَ خَدِيجَةَ بَيْتِ فِي الْجَنَّةِ؟ قال: نعم، بَشَّرَهَا بَيْتِ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ لَا صَحْبَ فِيهِ وَلَا نَصَبٍ^(٣).

وفي المتفق عليه من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: ما غرْتُ من أحدٍ من نِسَاءِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِثْلَ مَا غَرْتُ مِنْ خَدِيجَةَ، وما رأيتها قط، وتزوجني بعد موتها بثلاث سنين، ولقد كان رسول الله ﷺ يُكْثِرُ ذِكْرَهَا، وربما ذبح الشاة ففقطعها أعضاء، ثم يبعث بها إلى صَدَائِقِ خَدِيجَةَ، فربما قلت له: كأن لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة فيقول: «إنها كانت وكانت وكان لي منها ولد»^(٤).

وفي المتفق عليه: أن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت يوماً: خَدِيجَةَ - بالتصغير - فَرَجَرَنِي وقال: «إِنِّي رَزِقْتُ حُبَّهَا» فَأَذْكَرْتَنِي الْعَيْرَةَ، فقلت: وهل كانت إلا عجوزاً قد أخلف الله لك خيراً منها، فَعَضِبَ حَتَّى اهْتَزَّ مَقْدَمُ شَعْرِهِ، وقال: «والله ما أخلف لي خيراً منها، لَقَدْ آمَنْتُ بِي إِذْ كَفَرَ النَّاسُ، وَصَدَّقْتَنِي إِذْ كَذَّبَنِي النَّاسُ، وَأَسْتَنِي بِمَالِهَا إِذْ حَرَمَنِي النَّاسُ، وَرَزَقَنِي اللَّهُ أَوْلَادَهَا إِذْ حَرَمَنِي أَوْلَادِ النَّسَاءِ». قالت: فقلت في نفسي: والله لا أذكرها أبداً^(٥).

(١) في (خ): «وكانت صدوقة».

(٢) صحيح البخاري (٣٤٣٢)، وصحيح مسلم (٢٤٣٠).

(٣) صحيح البخاري (٣٨١٩)، وصحيح مسلم (٢٤٣٣).

(٤) صحيح البخاري (٣٨١٨)، وصحيح مسلم (٢٤٣٥).

(٥) قوله ﷺ: «إني رزقت حبها» أخرجه مسلم (٢٤٣٥)(٧٥) ولم يخرجها البخاري، وقول عائشة: وهل كانت =

وفي المتفق عليه: عن عائشة رضي الله عنها قالت: استأذنت على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً هالةً أختُ خديجةَ، فارتاع لذلك، وقال: «اللهم هالة بنت خويلد» قالت: فغرت وقلت: ما تذكر من عجوز حمراء الشدقين، هلكت في الدهر، فزجرني^(١). وذكر بمعنى ما تقدم.

ذكر وفاتها رضي الله عنها:

اتفقوا على أنها توفيت في هذه السنة بعد وفاة أبي طالب.
قال الواقدي: عاشت بعده ثلاثة أيام.
وقال ابن إسحاق: شهراً وخمسة أيام.
وقال الهيثم: خمسة وخمسين يوماً، ولما توفيت كان لها خمس وستون سنة.
وقال البخاري: ماتت قبل الهجرة بثلاث سنين، ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم في حفرتها، ولم تكن سُنتَ الجنازة يومئذ، ولا فرضت الصلوات الخمس، ودفنت بالحجون^(٢).

ذكر أولادها:

وهما قسمان من غير رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن رسول الله صلى الله عليه وسلم فأما من غير رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنهم: هند وهالة.
وقال بعضهم: هما ذكران، وقال بعضهم: ذكر وأنثى، وهي: هند، وكانت تسمى ربيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانت تقول: أنا أكرم الناس أباً وأماً وأختاً وأخاً، وأبي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأمي خديجة، وأختي فاطمة، وأخي القاسم.
أما أولادها من رسول الله صلى الله عليه وسلم: القاسم وبه كان يكنى، مات قبل النبوة، وحزن عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم عبدالله، ولقبه الطاهر، ثم الطيب، وقيل: إنهما ولدا بعد

= إلا عجوزاً.. أخرجه البخاري ومسلم كما سيأتي في تخريج الحديث الآتي، وأخرج أحمد في «مسنده» (٢٤٨٦٤) عن عائشة قالت: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا ذكر خديجة أثنى عليها فأحسن الثناء، قالت: فغرت يوماً فقلت: ما أكثر ما تذكر حمراء الشدق قد أبدلك الله بها خيراً منها.. وذكر تمام الحديث، وانظر «الجمع بين الصحيحين» (٣٢٢٣).

(١) صحيح البخاري (٣٨٢١)، وصحيح مسلم (٢٤٣٧).

(٢) انظر «الطبقات الكبرى» ١٩/١٠، و«مستدرک الحاكم» ١٨٢/٣.

النبوة، وقيل: الْمُطَيَّب والمُطَهَّر.

وكانت تعق عن الغلام بشاتين، وعن الجارية بشاة.
والحاصل: أن في القاسم وعبدالله اتفاقاً، وفي الباقي خلاف^(١).
فأما الإناث: فزينب، ورُقِيَّة، وأم كلثوم، وفاطمة عليهن السلام.
وقد روت خديجة رضي الله عنها الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم.
وفيها توفي

أبو طالب

قال ابن المسيب عن أبيه: لما احتضر أبو طالب، أتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد عند رأسه عبدالله بن أبي أمية، وأبا جهل بن هشام، فقال: «يا عَمَّ، قُلْ كلمةً أشهدُ لك بها عند الله غداً، قل لا إله إلا الله». فقال له عبد الله وأبو جهل: يا أبا طالب، أترغب عن ملَّة عبد المطلب. فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يردد عليه، وهما يرددان عليه، حتى كان آخر كلمة قالها: أنا على ملَّة عبد المطلب ومات. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لأستغفرن لك ما لم أنه عنك، فاستغفر له رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد موته وجعل المسلمون يستغفرون لموتاهم، حتى نزل قوله تعالى: ﴿مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أَوْلَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾^(٢) [التوبة: ١١٣].

وقال الواقدي: دعا أبو طالب بني عبد مناف، وبني المطلب، وبني هاشم عند وفاته، وقال: لن تزالوا بخير ما سمعتم من ابن أخي محمد، فاتبعوه، وأعينوه ترشدوا. فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَتَأْمُرُهُمْ بِهَا، وَتَدْعُهَا أَنْتَ يَا عَمَّ؟» فقال: يا ابن أخي، أما

(١) قال ابن حجر في «الفتح» ١٧٢/٧: المتفق عليه من أولاده منها القاسم وبه كان يكنى، مات صغيراً قبل المبعث أو بعده، وبناته الأربع: زينب ثم رقية ثم أم كلثوم ثم فاطمة، وقيل: كانت أم كلثوم أصغر من فاطمة. وعبد الله ولد بعد المبعث فكان يقال له: الطاهر والطيب، ويقال: هما أخوان له، وماتت الذكور صغاراً باتفاق.

(٢) أخرجه البخاري (١٣٦٠).

إنك لو سألتنيها وأنا صحيح لتابعتك على ما تقول، ولكن أكره أن يقال: جزع عند الموت، فترى قريش أني أخذتها جَزَعاً، ورددتها في صحتي. وفيه نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾^(١) [القصص: ٥٦].

وقال الشيخ موفق الدين رحمته الله في «الأنساب»: قد كان أبو طالب يقر بنبوة رسول الله ﷺ، وجاء ذلك في أشعار له منها قوله: [من الطويل]

ألا أبلغا عنِّي على ذات بيننا لؤياً وخُصّاً من لؤي بني كعبِ
بأننا وجدنا في الكتاب محمداً نبياً كموسى خُطَّ في أول الكُتُبِ
وأنّ عليه في العبادِ محبّةً ولا خير ممن خصّه الله بالحُبِّ
ومنها قوله أيضاً: [من الطويل]

تعلم خيار الناس أن محمداً وزير لموسى والمسيح بن مريم
أتى بالهدى مثل الذي أتيا به فكلُّ بأمرِ الله يهدي ويعصمُ
وأنكم تتلونونه في كتابكم بصدقٍ حديث لا حديث المترجمِ
فلا تجعلوا لله نداً وأسلموا فإن طريقَ الحق ليس بمُظلمِ
ولكنه أبي أن يدين بذلك خشية العار^(٢).

وقال إسحاق بن عبدالله بن الحارث: قال العباس: يا رسول الله، عمك أبو طالب قد كان يكلؤك ويحوطك، فقال: «غَفَرَ اللهُ له وَرَحِمَهُ» فقال العباس: وإنك لترجو له، فقال: «إي والله، إنني لأرجو له كلَّ الخير من ربِّي»^(٣).

قال علي رضي الله عنه: لما توفي أبو طالب، أتيت النبي ﷺ، فقلت: إن عمك قد مات، فقال: «أذهب فواره، ولا تُحدِثْ حَدَثاً حتى تأتيني». ففعلت، وأتيت فعدا لي بدعوات ما يسرني بها حُمر النعم^(٤).

(١) انظر «الطبقات الكبرى» ١/١٠١.

(٢) «التبيين في أنساب القرشيين»، ص ١١٠-١١١، وانظر «السيرة» لابن هشام ٢/٤.

(٣) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» ١/١٠٣، وأحمد في «مسنده» (١٧٨٩).

(٤) أخرجه أحمد في «مسنده» (٨٠٧)، وابن سعد ١/١٠٢.

وقال ابن عباس: عارض رسول الله ﷺ جنازة أبي طالب، فلما مرت به، بكى وقال: «وَصَلَّتْكَ رَحْمٌ يَا عَمَّ، وَجَزَاكَ اللهُ خَيْرًا»^(١).

وقال ابن إسحاق: رثاه علي - ﷺ - بأبيات منها^(٢): [من الطويل]

أرقتُ لطيرٍ آخرَ الليلِ غرّداً
أبا طالبٍ مأوى الصّعاليكِ ذا الندى
فأمست قُريشٌ يفرحون بموته
أرادوا أموراً زينتها حلومهم
يُرجّون تكذيبَ النبي وقتله
كذبتم وبيتِ الله حتى نذيقكم
فإمّا تُبيدونا وإمّا نُبيدكم
وإلا فإن الحيّ دون محمدٍ

قال الواقدي: أقام أبو طالب من سنة ثمان من مولد رسول الله ﷺ إلى السنة العاشرة من النبوة، ثلاثاً وأربعين سنة يحوطه، ويقوم بأمره، ويذب عنه، ويلطف به، ويمنعه من الكفار^(٣).

وقال عروة: ما زالوا كافّين عن رسول الله ﷺ حتى مات أبو طالب - يعني قريشاً -^(٤).

وقال الواقدي: أصاب أبا طالب يوم الفجار سهم في قدمه، فكان يجمعُ منه.

ذكر أولاده:

المشهور أنه كان له أربعة ذكور وأنثيان.

فالذكور: طالب، وعقيل، وجعفر، وعلي ﷺ، وبين كل واحد وواحد عشر

(١) أخرجه ابن عدي في «الكامل» ١/ ٢٦٠، والبيهقي في «الدلائل» ٢/ ٣٤٩، وقال الذهبي في «الميزان» ١/ ٤٥: هذا خبر منكر.

(٢) الشعر في «تاريخ دمشق» ٦٦/ ٣٤٤.

(٣) انظر «الطبقات الكبرى» ١/ ٩٩.

(٤) انظر «الطبقات الكبرى» ١/ ١٠٣.

سنين، فطالب أسنهم، ثم عقيل، ثم جعفر عليه السلام، ثم علي عليه السلام - وهو أصغرهم.
فأما طالب: فكنته أبو زيد، وكان أبو طالب يُكنى به، وكان عالماً بالأنساب^(١) من قريش والعرب، عارفاً بأيام الجاهلية، أخرجته المشركون يوم بدر لقتال رسول الله صلى الله عليه وآله مكرهاً، فقال: [من الرجز]

لا هم إمّا يَغزُونَ طالِبَ في مِقْنَب من هذه المَقَانِبِ
فليكن المغلوب غير الغالب وليكن المسلوب غير السالب
فلما انهزم الكفار يوم بدر، طلب طالب فلم يوجد في القتلى، ولا في الأسرى،
ولا رجع إلى مكة، ولا يُدرى ما أصابه، وليس له عقب^(٢).

وأما عقيل فأخرج أيضاً يوم بدر وأسر، ولم يكن له مال، ففداه العباس، ثم رجع إلى مكة، فأقام بها إلى سنة ثمان من الهجرة، ثم هاجر إلى المدينة، فشهد غزاة مؤتة مع أخيه جعفر عليه السلام -، وأصاب في ذلك الوجه خاتماً من ذهب عليه تماثيل، فنقله رسول الله صلى الله عليه وآله إياه^(٣). وهو الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله: «وَهَل تَرَكَ لَنَا عَقِيلٌ مِنْ مَنَزِلٍ»^(٤).

وكان طالب وعقيل قد ورثا أبا طالب، ولم يرثه جعفر وعلي عليهما السلام^(٥).
وتوفي عقيل سنة خمسين من الهجرة، وسنذكره.

وأما جعفر وعلي عليهما السلام فسندكرهما فيما بعد إن شاء الله تعالى.

وأما البنات: فالمشهور ابنتان: أم هانئ وجُمَانَة، واسم أم هانئ: هند، وقيل: ربيعة. وفاخته، وقيل: جَعْدَة، وهرب زوجها هُبيرة بن أبي وهب المخزومي يوم الفتح إلى نجران، وكانت قد أجارته، وأجاره رسول الله صلى الله عليه وآله.

(١) في «الطبقات الكبرى» أن عقيل بن أبي طالب هو العالم بالنسب، وكنته أبو يزيد، انظر «نسب القرشيين» ص ١١٠-١١١، ولم تقف على كنية لطالب هذا.

(٢) انظر «السيرة» لابن هشام ١٩١/٢، و«الطبقات الكبرى» ١/٩٩-١٠٠.

(٣) انظر الطبقات الكبرى ٤/٤٠.

(٤) أخرجه البخاري (٣٠٥٨)، ومسلم (١٣٥١) من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه.

(٥) أخرجه مسلم بعد (١٣٥١).

قال وقد بلغه إسلام أم هانئ يوم الفتح^(١):

أشأقتك هندُ أم أتاك سُؤالها
وَقَدَ أَرَقْتُ فِي رَأْسِ حِضْنٍ مَمْنَعٍ
كَذَاكَ النَّوَى أَسْبَابُهَا وَأَنْتِقَالُهَا
فِي إِنْ كُنْتِ قَدْ تَابَعْتِ دِينَ مُحَمَّدٍ
بَنْجَرَانٍ يَسْرِي بَعْدَ نَوْمِ خَيَالِهَا
فَكُونِي عَلَيَّ أَعْلَى سَحُوقٍ بِهَضْبَةٍ
وَقَطَّعْتَ الْأَرْحَامُ مِنْكَ حِبَالِهَا
مُلْمَلَمَةً حَمْرَاءَ يَبْسُ بِأَلْهَا
وأما جُمَانة فتزوجها أبو سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب، فولدت له جعفرًا،
وهاجرت إلى المدينة، وأطعمها رسول الله ﷺ بخيبر ثلاثين وَسَقًا من تمر^(٢)، وتوفيت
في حياة رسول الله ﷺ.

وكل أولاد أبي طالب من فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف^(٣).

وذكر الواقدي: أنه كان لأبي طالب ابنة أخرى اسمها: رَيْطَة، ويقال لها: أم طالب^(٤).

وذكر الواقدي: وبلغنا أنه كان لأبي طالب ابن اسمه: طليق، واسم أمه وَعَلَة^(٥).

وقد روى أبو طالب عن رسول الله ﷺ حديثاً أخرجه الشيخ جمال الدين بن الجوزي في «جامع الأسانيد»، ورفعته إلى محمد بن الحنفية، عن عروة بن عمرو الثقفي قال: سمعت أبا طالب يقول: سمعت ابن أخي الأمين يقول: «أشكر ترزق، ولا تكفر فتعذب»^(٦).

* * *

(١) الأبيات في السيرة ٢/٤٢٠، ونسب قريش ٣٤٤.

(٢) انظر «الطبقات الكبرى» ٤٨/١٠.

(٣) انظر التبيين ص ١١١.

(٤) انظر «الطبقات الكبرى» ٤٨/١٠، و«الإصابة» ٣١٠/٤.

(٥) جاء في (خ): «طلق»، وقيل اسمه وعلة! وانظر «الطبقات الكبرى» ١٠٠/١. وفيه: «عله» بدل «وعله».

(٦) أورده السخاوي في «فتح المغيب» ١٣٣/٢، وقال: لا يصح.